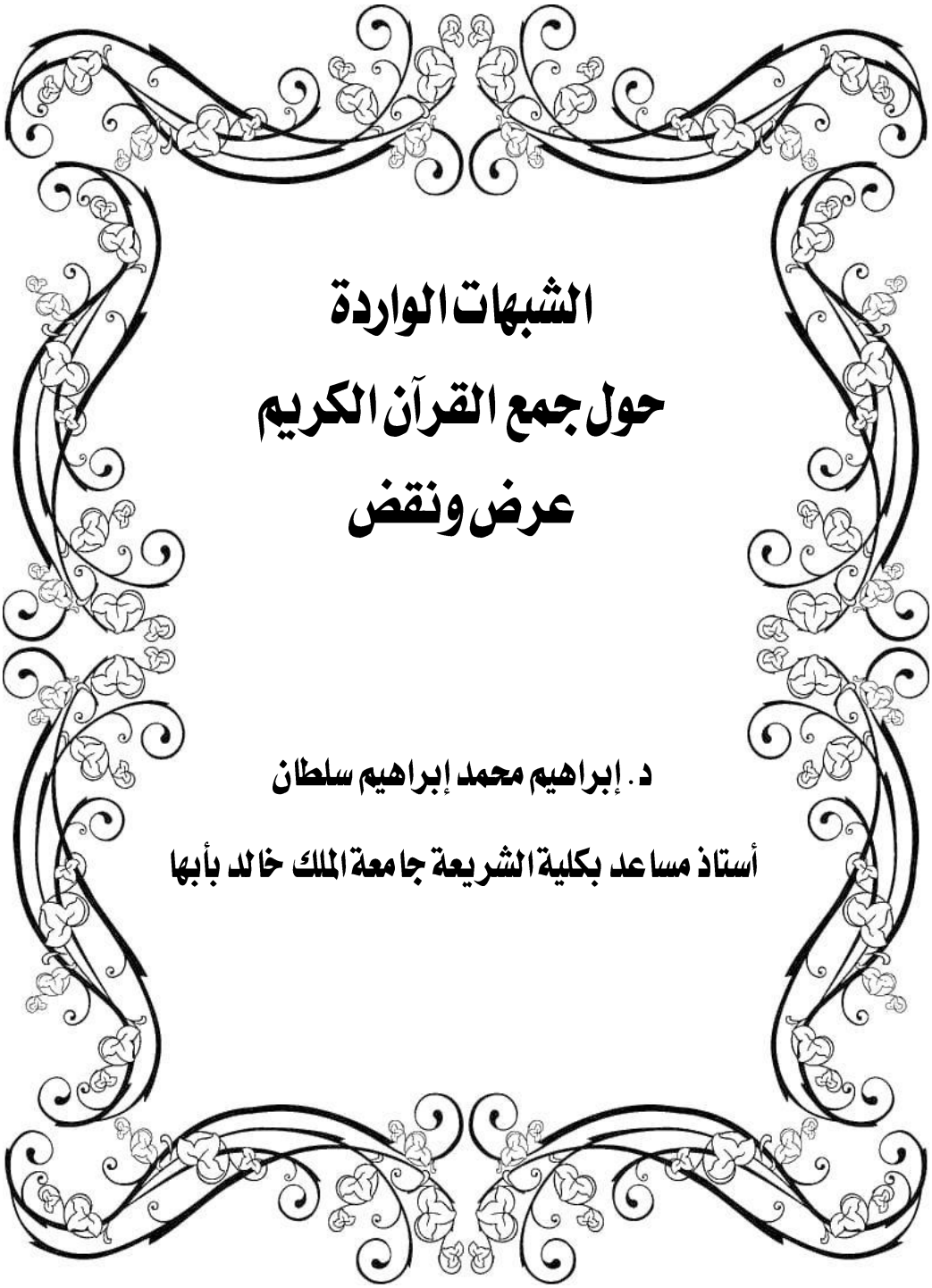

الشبهات الواردة
حول جمع القرآن الكريم
عرض ونقض

د. إبراهيم محمد إبراهيم سلطان

أستاذ مساعد بكلية الشريعة جامعة الملك خالد بأبها

الشبهات الواردة حول جمع القرآن الكريم- عرض ونقض.

إبراهيم محمد إبراهيم سلطان.
قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الشريعة – جامعة الملك خالد – أبها السعودية

البريد الالكتروني : Isultan@kku.edu.sa

الملخص :

قضية جمع القرآن الكريم من القضايا الجوهرية في الدراسات القرآنية؛ إذ هي تتعلق بقضية حفظه في الصدور وحفظه في السطور. وقد أثار أعداء الإسلام الشبهات حولها؛ ليحاولوا الوصول إلى مبتغاهم من هدم القرآن الكريم، ولن يصلوا؛ لأن الله – تعالى – هو من تكفل بحفظه. والدراسة تجيب عن تساؤلات متعددة، منها ما تعريف القرآن الكريم؟ وما حقيقة جمعه؟ وما معنى الشبهات؟ .... ومن أهمية موضوعه الدفاع عن أشرف ما في هذا الكون وهو القرآن الكريم. والرد على المعتدين على كتاب الله وتعريتهم بالحجة والدليل. ومن أسباب اختياري للبحث رغبتي أن أُدرج في سلك من خدم القرآن الكريم وقضاياه. وقلة ما لدي من بضاعة حول هذا الموضوع؛ مما جعلني أبحث فيه لمعرفة المزيد. و ندرة التأليف في هذا الموضوع. وخطورة هذه الشبهات على المتعلم وغيره، مما قد يورد لديه شكاً في سلامة القرآن من الزيادة والنقصان. وأما أهداف هذه الدراسة: الوقوف على الشبهات المطروحة حول جمع القرآن الكريم وترتيبها، والرد عليها بما يأتي على بنيانها من القواعد، من خلال كلام أهل العلم القدامى والمحدثين، وتحليل نصوصهم، والزيادة عليها بما يفتح الله – جل جلاله – ومن أهم النتائج أن الشبهات التي يرميها أهل الضلال حول جمع القرآن الكريم في غالبها عارية عن الصحة ومبنية على أباطيل لا دليل عليها.

الكلمات المفتاحية : (شبهة، القرآن، جمع، الرد)

Suspicions about the collection of the Noble Qur'an - Presentation and rebuttal.

.Ibrahim Mohammed Ibrahim Sultan

Department of Interpretation and Quranic Sciences - College of Sharia - King Khalid University - Abha Saudi Arabia

Email: Isultan@kku.edu.sa

Abstract:

The issue of collecting the Noble Qur'an is one of the core issues in Qur'anic studies. It is related to the issue of preserving it in the breasts and keeping it in the lines. The enemies of Islam have raised suspicions about them. To try to reach their goal of destroying the Holy Quran, and they will not pray; Because God - Almighty - is the one who has taken care of His protection. The study answers several questions, including what is the definition of the Noble Qur'an? What is the truth of his collection? What is the meaning of suspicions? Among the importance of its topic is defending the most honorable thing in this universe, which is the Noble Qur'an. And the response to the aggressors against the Book of God and their nakedness with argument and evidence. Among the reasons for my choice of research is my desire to be included in a corps of servants of the Noble Qur'an and its causes. I have very few merchandise on this topic. Which made me search to find out more. And the scarcity of authorship on this topic. And the danger of these suspicions on the learner and others, which may give him doubts about the safety of the Qur'an from increase or decrease. As for the objectives of this study: to identify the suspicions raised about collecting and arranging the Holy Qur'an, and to respond to them with what comes to its structure of the rules, through the words of ancient scholars and modernists, analyzing their texts, and adding to them with what God - may God Almighty - conquer them. The people of delusion throw it around the collection of the Noble Qur'an in its majority, unfounded and based on falsehoods that have no evidence.

Keywords: (suspicion, Quran, plural, reply(

المقدمة

إن الحمد لله أحمده و أستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد ...

فإن الله – جل وعلا – خلقنا لعبادته، وتعبدنا بإتباع ما جاءنا من عنده، فأنزل علينا أفضل الكتب، واختصنا به عن سابق الأمم، وهذا الكتاب الكريم وصفه الله بأوصاف عديدة، فهو نور وهدى وبركة وفرقان، فيجب علينا الإيمان بكل ما فيه، وعدم انتقاصه أو النيل منه.

ومن هنا جاء هذا البحث المتعلق بقضية مهمة من قضايا علوم القرآن الكريم، وهي قضية جمعه وما أثير حولها من الشبهات، والله أسأل أن يوفقني ويسددني وأن يشرفني بأن أكون ممن دافع عن كتابه، وهو خير الراشدين.

ومشكلة هذه الدراسة:

أن قضية جمع القرآن الكريم من القضايا الجوهرية في الدراسات القرآنية؛ إذ هي تتعلق بقضية حفظه في الصدور وحفظه في السطور.

وقد أثار أعداء الإسلام الشبهات حولها؛ ليحاولوا الوصول إلى مبتغاهم من هدم القرآن الكريم، ولن يصلوا؛ لأن الله – تعالى – هو من تكفل بحفظه.

ثم إن تلك الشبهات التي طرحوها حول هذه القضية، لم تنل قدرا كافيا من الرد العقلي والنقلي، وهذا ما سأحاول الوصول إليه – إن شاء الله –.

وأما تساؤلات البحث فمتعددة:

فالدراسة تجيب عن تساؤلات متعددة، وهي:

ما تعريف القرآن الكريم؟ وما حقيقة جمعه؟ وما معنى الشبهات؟ وما الشبهات التي طرحت حول الجمع في العهد النبوي، وكيف نجيب عليها؟ وما الشبهات المطروحة حول الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكيف نجيب عليها؟ وما الشبهات حول الجمع في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكيف نجيب عليها؟

وأما حدود البحث:

فهذه الدراسة تتناول تعريف الشبهة، والجمع، والقرآن، وكذلك تتناول الشبهات حول جمع القرآن في عهد النبي ﷺ والرد عليها، والشبهات حول جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه والرد عليها، والشبهات حول جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه والرد عليها.

وأما أهمية البحث، فيمكن إيضاحها فيما يلي:

أولا: إن أهميته من أهمية موضوعه وهو الدفاع عن أشرف ما في هذا الكون وهو القرآن الكريم.

ثانيا: فيه إثبات لسلامة القرآن الكريم عن كل ما قيل فيه من نقص أو نحوه.

ثالثا: الرد على المعتدين على كتاب الله وتعريتهم بالحجة والدليل.

وأما أسباب اختياري له، فترجع إلى أمور:

أولا: رغبتي أن أُدرج في سلك من خدم القرآن الكريم وقضاياه.

ثانيا: قلة ما لدي من بضاعة حول هذا الموضوع؛ مما جعلني أبحث فيه لمعرفة المزيد.

ثالثا: ندرة التأليف في هذا الموضوع.

رابعا: خطورة هذه الشبهات على المتعلم وغيره، مما قد يورد لديه شكاً في سلامة القرآن من الزيادة والنقصان.

وأما أهداف هذه الدراسة:

فتهدف إلى الوقوف على الشبهات المطروحة حول جمع القرآن الكريم وترتيبها، والرد عليها بما يأتي على بنيانها من القواعد، من خلال كلام أهل العلم القدامى والمحدثين، وتحليل نصوصهم، والزيادة عليها بما يفتح الله – جل جلاله –.

وأما الدراسات السابقة عليه:

ففي حدود ما اطلعت عليه لم أقف على من أفرده بتصيف، إلا أن بعض الأقلام تناولته بصورة مقتضبة، في ثنايا كتابات علمية تتعلق بالرد على الشبهات المثارة حول القرآن الكريم.

وأما خطة البحث:

فقد قسمته إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

فأما المقدمة فاشتملت على الآتي:-

مشكلة الدراسة، والتساؤلات الواردة حولها، وحدودها، وأهميتها، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة عليها، وخطة البحث، والمنهج المتبع في هذه الدراسة.

وأما التمهيد: فاشتمل على التعريف بمصطلحات البحث (الشبهة، الجمع، القرآن)

وأما الفصل الأول فأتناول فيه: شبهات حول جمع القرآن في عهد النبي ﷺ والرد عليها.

وأما الفصل الثاني فأتناول فيه: شبهات حول جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه والرد عليها.

وأما الفصل الثالث فأتناول فيه: شبهات حول جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه والرد عليها.

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج مع الاقتراحات والتوصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع. وفهرس الموضوعات.

المنهج العلمي في كتابة هذا البحث:

أولا: توثيق المادّة العلميّة على النّحو الآتي:-

عزو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار لمصادرها.

توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء والإشارة إليها في الحاشية.

ثانيا: الالتزام –حسب الإمكان– بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

ثالثا: عرض الشبهة ومن قال بها غالباً، ثم أبيِّن مدار هذه الشبهة، ثم الرد عليها في محاور، كل شبهة بحسبها.

وأخيرا: فهذا جهد المقل، وأسأل الله – تعالى – أن يجزي عني خيرا، كل من أعانني بجهد أو نصيحة أو دعاء، أو أقال لي عثرة، أو نبهني إلى هفوة، سائلا المولى ﷻ أن يمن علي بالصواب، ويعصم القلم من الزلل، والنفس من الهوى، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

التمهيد

التعريف بمصطلحات موضوع البحث.

قبل الشروع في خضم هذا البحث، يجدر بي التعريف بمفهوم ما سيكون الحديث عنه في ثنايا هذا البحث المتواضع، فمن الملاحظ بأن موضوع هذا البحث يدور على المصطلحات التالية (شبهات، جمع، قرآن) وسأبين مفهوم كل لفظة مما سبق؛ حتى يتبين من مجموعها المفهوم من هذا البحث فأبتدئ بالمصطلح الأول.

أولاً: تعريف الشبهات لغة واصطلاحًا:

تعريف الشبهة لغة:

مأخوذة من المادة (شَبَه)، والشبه هو ما يشبه غيره؛ أي ما يقاربه في الشكل أو الوصف، ومنه الاشتباه أي: الالتباس وعدم التمييز بين شيئين، والشبهات أي: المأخذ الملبس، وسميت شبهة لأنها تشبه الحق وتخالفه في نفس الوقت، وشَبَّهَ عليه الأمر: أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره، واشْتَبَهَ الأمر عليه: اختلط، يقال: اشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميّز ولم تظهر، ومنه اشتبهت القبلة ونحوها، والجمع فيها شبهٌ وشبهاتٌ[1].

١ انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- كتاب الشين- ٣٠٤/١، مختار الصحاح- باب الشين- ص٣٥٤.

تعريف الشبهات اصطلاحًا:

عرَّفها الإمام ابن القيم – رحمه الله – فقال: "الشبهة هي اشتباه الطريق على السالك، بحيث لا يدري أعلى حق هو أم على باطل"[١]

وعرَّفها الإمام الجرجاني – رحمه الله – بقوله: "الشبهة: هو ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا"[٢].

وعرَّفها الدكتور خالد المصلح في شرحه لكشف الشبهات فقال: "الشبهة هي واردٌ يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق، وذلك بسبب التباس الحق بالباطل حتى لا يتبين"[٣].

وممَّا سبق يتَّضح بأن التعاريف السابقة تباينت في تعريف الشبهة، فالتعريف الأول والثاني جاءت بتعريف الاشتباه وليس الشبهة، وأما تعريف د. المصلح فهو أقرب لمقصودنا هنا، وعليه فإني أستنتج من المعنى اللغوي السابق والتعاريف السابقة تعريفاً يحدد مراد البحث هنا:

فأقول المراد بالشبهات هنا هي: ما يورده أهل الزيغ حول قضية ما يلتبس معها الحق بالباطل بقصد القدح وإيراد الشك.

١ مدارج السالكين ٣/٢٩٩.

٢ التعريفات للجرجاني ص١٢٤.

٣ شرح كشف الشبهات ص١٤.

ثانيًا: تعريف الجمع لغة واصطلاحًا

تعريف الجمع لغة

الجمع من مادة جمع، وهي بمعنى جمع الشيء المتفرق، واستجمع السيل أي اجتمع من كل موضع[1].

تعريف الجمع اصطلاحًا:

هذا المصطلح مرتبط بما بعده، والمقصود به هنا جمع القرآن، وبهذا فالمقصود بجمع القرآن له عدة معاني:

حفظه في الصدور.

كتابته في السطور.

جمعه بمعنى تسجيله تسجيلًا صوتيًا.

والمقصود في بحثنا هذا هو المعنى الأول والثاني.

١ انظر: لسان العرب- مادة جمع- ٥٣/٨، مختار الصحاح- مادة جمع- ص٦٠.

ثالثاً: تعريف القرآن لغة واصطلاحًا:

تعريف القرآن لغة:

القرآن في اللغة مأخوذ من مادة قرأ، بمعنى تلا، ومما يدل على أنه مأخوذ من (قرأ) بمعنى (تلا) قوله تعالى: (وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الأعراف: ٢٠٤]، و(قرأ) الكتاب (قراءة) و(قرآنا) بالضم، و(قرأ) الشيء (قرآنا) بالضم أيضاً جمعه وضمه ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها[١]

تعريف القرآن اصطلاحًا:

هو كلام الله المنَزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المعجز بأقصر سوره[٢].

١ مختار الصحاح للرازي ص٢٤٩.

٢ انظر: النبأ العظيم للدراز ص٤٦، المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص٢١.

الفصل الأول

شبهات حول جمع القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ.

إن الشبهات حول جمع القرآن الكريم في عهد النبوة كانت تدور حول استغلال بعض النصوص من الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم، في التشكيك في سلامة القرآن الكريم من النقصان؛ وأنه لم يُجمع كاملاً بل حصل فيه نقص وتحريف:-

ومدار هذه الشبهات كان على الآتي:

الشبهة الأولى:

تدور حول نسيان النبي ﷺ لشيءٍ من القرآن الكريم، وهذه الشبهة مرتكزها في نصين من نصوص الكتاب والسنة، أُثيرت حولها بعض الشبهات، وسأذكر فيما يلي تلك النصوص وما أثير حولها.

النص الأول:

قول الله تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) [سورة الأعلى ٥-٦].

مدار هذه الشبهة عندهم: قولهم إن الله استثنى من عدم نسيان النبي عليه الصلاة والسلام لشيء من الوحي، إلا ما شاء الله أن ينسيه، فقالوا في ذلك دليل على أن النبي عليه الصلاة والسلام لابد وأن ينسى شيئاً من القرآن تحقيقاً لمشيئة الله له، وهذا ينفي القول بقطعية ثبوت القرآن الكريم، وممن قال بذلك المستشرق يوسف شاخت[1].

١ مستشرق ألماني متعصب ضد الاسلام، انظر: مناهج المستشرقين للدكتور سعدون الساموك ص١٢١

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها في ثلاثة محاور:

أولاً: إن الله جل وعلا امتن على نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه لا ينسى ما أوحي إليه من ربه، ف-. (لا) هنا نافية وليست ناهية، وهذا يكفي في إثبات عدم نسيانه لما أوحي إليه من ربه.

ثانياً: في الآية إثبات بأن القرآن من عند الله، أنزله على نبيه لتبليغه للناس، وهذا فيه رد على من قال أن القرآن من عند غير الله وأنه مفترى أو محرف، وفيه دليل قاطع بصدق ما جاء به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأنه من عند الله، ومن ذلك أن الآية ذكرت أن عدم النسيان للرسول صلى الله عليه وسلم معلق بمشيئته سبحانه.

ثالثًا: توضيح علاقة الاستثناء بالمشيئة بنسيان النبي عليه الصلاة والسلام لشيء من القرآن.

العلماء ذكروا في الاستثناء قولين:-

منهم من قال بأنه استثناء صوري ليس بحقيقي، بدليل أن النسيان لم يقع أصلاً للأدلة الثابتة، وعليه فإن الاستثناء لن يقع، وبذلك فإنه استثناء صوري ليس بحقيقي، وأيضاً أن الاستثناء فيه بيان من الله بأن عدم نسيان النبي عليه أفضل الصلاة والسلام إنما هو تحت مشيئة الله وسعته وعلمه، وبهذا يمتن الله على نبيه بعدم نسيانه ما أوحي إليه، وتعليق النسيان بالمشيئة فيه تأكيد لعدم وقوعه واستحالته، ومثال ذلك قول الله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)١ ، فالمشيئة هنا جاءت بين الديمومة وبين الوعد بعدم انقطاع النعيم، ولهذا فسَّر العلماء ذلك بأنه

١ سورة هود آية ١٠٨

استثناء صوري ليس بحقيقي[1].

ومنهم من قال بأن الاستثناء حقيقي وليس بصوري، والمقصود به أن الله جل وعلا أثبت لنبيه عدم نسيان شيء من القرآن إلا ما يريد الله أن ينسيه، وهو ما تم نسخه من القرآن لحكمة يعلمها سبحانه، فالنسيان يكون فيما هو منسوخ، وعبَّر عن النسخ بالنسيان كما ذكره بعض أهل العلم، واستدلوا بحقيقة هذا الاستثناء على ما ذكروا بقوله تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[2] ، فجعل النسيان مرادفاً للنسخ، وهذا ما رجَّحه الإمام الطبري رحمه الله في معنى هذه الآية فقال: "والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه ورفعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك أظهر معانيه."[3]

النص الثاني:

حديث النبي عليه الصلاة والسلام عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رجلًا يقرأ في المسجد فقال: "يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية من سورة كذا"، وفي رواية: "أسقطتهن من آية كذا وكذا"، وفي رواية: "كنت أنسيتها".

مدار هذه الشبهة عندهم، أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سقط منه شيء من القرآن، وأن النسيان سائغ في حقه عليه الصلاة والسلام، مما يجعلهم يقدحون في عدم سلامة القرآن من النقص والتحريف.

---

١ انظر: مناهل العرفان للزرقاني (٢٦٧/١)، المدخل لراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص٢٩٢.

٢ سورة البقرة آية ١٠٦

٣ تفسير الطبري (٣٧١/٢٤)

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها في ثلاثة محاور:

أولاً: التحقق من صحة هذا النقل عن النبي ﷺ.

بعد الرجوع لكتب السنة تبيَّن لي أن هذا الحديث صحيح، وقد ورد في كتب السنة المعتبرة، وعلى رأسها صحيح البخاري ومسلم، وسأنقل هنا نص هذا الحديث من الصحيحين.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في المسجد، فقال: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهن من سورة كذا وكذا» وزاد عباد بن عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها قالت، تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: «يا عائشة أصوت عباد هذا؟»، قلت: نعم، قال: «اللهم ارحم عبادا»[١]

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل، فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا، آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا»[٢]

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ من الليل، فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية، كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا»[٣]

ثانياً: أن الروايات السابقة تدور ألفاظها حول ثلاثة ألفاظ وهي

---

١ صحيح البخاري، باب شهادة الأعمى وأمره ونكاحه وإنكاحه ومبايعته وقبوله في التأذين وغيره، وما يعرف بالأصوات، حديث رقم ٢٦٥٥، (١٧٢/٣)

٢ صحيح البخاري، باب نسيان القرآن، وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا، حديث رقم ٥٠٣٧، (١٩٣/٦)

٣ صحيح مسلم، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها، حديث رقم ٧٨٨، (٥٤٣/١)

(أذكرني، أسقطتهن، نسيتها)، وبالنظر في هذه الألفاظ يتبيَّن لنا أن سماع النبي عليه الصلاة والسلام لهذه الآيات، جعله يستذكر هذه الآيات بعد نسيانه إياها، ممَّا يؤكد لنا أن قوله عليه الصلاة والسلام (أسقطتهن) ليس مقصوداً بذاته؛ أي لم يتعمد عليه الصلاة والسلام إسقاط شيء من القرآن، حيث الذي اعتراه هو النسيان، وهذا لا يشكك في جمع القرآن، فإن الرواية التي جاء فيها التعبير بالإسقاط تفسرها الرواية الأخرى: "كنت أنسيتها" وهذا يدل على أن المراد بإسقاطها نسيانها، كما يدل عليه لفظ "أذكرني" والنسيان جائز على رسول الله ﷺ فيما لا يخل بالتبليغ، وكانت هذه الآيات قد حفظها رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل، فنسيانه من هذا النوع سائغ كما ذكره العلماء رحمهم الله، وهذا النسيان لا يزعزع ثقتنا فيما بلغناه عنه عليه الصلاة والسلام، فهو المعصوم من الخطأ والنسيان فيما كلفه ربه بإبلاغنا، وهذا تسليم منا وتصديق جازم، قال تعالى: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)[١]

قال الإمام ابن حجر رحمه الله:-

" كنت أنسيتها هي مفسرة لقوله أسقطتها فكأنه قال أسقطتها نسياناً لا عمداً – ثم قال- قال الإسماعيلي النسيان من النبي صلى الله عليه وسلم لشيء من القرآن يكون على قسمين أحدهما نسيانه الذي يتذكره عن قرب وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قوله ﷺ في حديث ابن مسعود في السهو إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، والثاني أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) قال فأما القسم الأول

[١] سورة النجم (٢-٥)

فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)"١.

ثالثاً: ما أثبته من نسيانه ﷺ في الروايات السابقة، لا يخالف ما قطعت به من عدم حصول النسيان في حقه فيما يبلغه عن ربه؛ ولذلك فإن سماعه للآيات من الصحابي التي قد نسيها يدل على أنه قد بلَّغه إياها وحفظها الصحابة عنه، فكيف قرأ بها ذلك الصحابي؛ إلا أنه قد سمعها من النبي ﷺ سابقاً؛ وبذلك يتأكد لنا من الروايات السابقة أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكتم شيئاً أوحاه الله إليه، فقد بلَّغ ما أُنزل إليه من ربه، وهذا أكبر برهان في قطع الطريق على من قال إن الرسول عليه الصلاة والسلام أسقط شيء من القرآن، إذ لو كان ذلك لما بلَّغ به الناس ابتداءً، فالذي يريد التحريف أو الإسقاط من شيء عنده فلا يذكره ابتداءً حتى لا ينكشف مراده، أمَّا النبي ﷺ فهو بريء من ذلك وقد زكاه ربه جل وعلا، وأكبر دليل بأن عباد بن بشر ﷺ كان قد تلقاها من النبي ﷺ.

١ فتح الباري لابن حجر (٨٦/٩)

قال الإمام الزرقاني :-

" أما احتجاجهم الأول وهو الحديث الذي أوردوه فإنه لا ينهض حجة لهم فيما زعموا من الشك في الأصل الذي قامت عليه كتابة القرآن وجمعه، بل الأصل سليم قويم وهو وجود هذه الآيات مكتوبة في الوثائق التي استكتبها الرسول ووجودها محفوظة في صدور أصحابه الذين تلقوها عنه والذين بلغ عددهم مبلغ التواتر وأجمعوا جميعاً على صحته، كما عرف ذلك في دستور جمع القرآن."١

الشبهة الثانية:

هي ما أثير حول الأثر الوارد عن زيد بن ثابت ﷺ حين قال: "(قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء)

مدار هذه الشبهة عندهم يقول المستشرق آثر جفري٢، إن القرآن الكريم لم يكن مجموعاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان متفرقاً ومبعثراً في العظام واللخاف والجلود، ممَّا جعلهم يشككون بأن ما وصل إلينا من القرآن هو ما وجده الصحابة، وغيره مفقود ولم يصل إلينا، وقد وافقه في ذلك أيضاً المستشرق هنري ماسيه٣ حيث قال: "عند وفاة محمد لم يكن هناك أية مجموعة للنصوص القرآنية فرزت بشكل نهائي، وما من شك في أن عدداً من مجموعة الوحي الأول لم تكن قد حفظت، ولكن شذرات هامة كانت قد سجلت كتابته على عظام مسطحة وأوراق نخيل أو حجارة"٤

١ مناهل العرفان للزرقاني (٢٦٥/١)

٢ كتاب المصاحف لأبي داوود، مقدمة آثر جفري، ص٥.

٣ الإسلام للمستشرق هنري ماسيه، ص١٠٥.

٤ جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته ص٢٧١.

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها في ثلاثة محاور.

أولاً: التحقق من صحة الأثر المذكور والذي عليه مدار الشبهة.

الأثر المذكور ذكره العلماء في مصنفاتهم، فقد أورده الإمام الطبري رحمه الله من طريقه بلفظ آخر فقال: "حدثني سعيد بن الربيع، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، قال: قُبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع، وإنما كان في الكرانيف والعسب"١.

وأورده الإمام ابن حجر في الفتح حيث قال: " وروينا في الجزء الأول من فوائد الديرعاقولي قال حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت قال قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء" ٢

ونقله كذلك الإمام السيوطي رحمه الله في الإتقان بلفظه٣.

وبقي أن أنقل لكم الحكم على هذه الرواية ممَّن درس أسانيدها وجمع طرقها، قال الباحث أكرم الدليمي في حكمه على هذه الرواية: " رجالها ثقات سوى إبراهيم بن بشار، قال عنه البخاري: صدوق، وقال عنه ابن حجر: حافظ له أوهام، فالأثر: إسناده حسن، وهو موقوف على زيد بن ثابت، والله أعلم"٤

فالأثر موقوف على زيد بن ثابت وهو حسن.

ثانياً: أن المقصود من الأثر هو أن القرآن لم يكن مجموعاً في مصحف واحد كما في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، بل كان مجموعاً في أشياء متفرقة من الجلود واللخاف والعسب وغيرها، ورواية

---

١ تفسير الطبري (٦٣/١)

٢ فتح الباري لابن حجر (١٢/٩)

٣ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠٢/١)

٤ انظر: جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته ص٩٩.

الإمام الطبري رحمه الله مبيّنة لمقصودنا هذا، حيث نقل عن زيد في آخر روايته أنه كان مجموعاً في الكرانيف والعسب، ولم يقصد زيد رضي الله عنه نفي جمع القرآن إجمالاً، بل كما ذكرنا وزيد رضي الله عنه هو من جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكان يقول تتبعت القرآن في صدور الرجال وما هو مكتوب عندهم، بل كان لا يقبل إلا بالمحفوظ والمكتوب معاً، وهذا ما يفسّر مراده في هذا الأثر.

قال الدكتور بكر عابد:

"كان الصحابة يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابة كذلك، ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي ﷺ مجتمعة في مصحف عام، بل عند هذا ما ليس عند ذاك، وقد نقل العلماء أن نفرًا منهم: علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، قد جمعوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، وذكر العلماء أن زيد بن ثابت كان عرضه متأخرًا عن الجميع، وقُبِضَ رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور والسطور، ولكن لم يُجْمَعْ في مصحف عام .."[1].

وممَّا يؤكد ما قررته في أن القرآن قد جمع كاملاً في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ولم يسقط منه شيء، هو ما ذكره العلماء رحمهم الله، قال ابن حجر رحمه الله: " وقد كان القرآن كله كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور"[2].

ثالثاً: تبيَّن لنا من الأثر السابق عن زيد رضي الله عنه أن القرآن لم يكن مجموعاً بصورته الحالية، ولسد باب الشبهة في ذلك فلابد من بيان

---

١ دراسات في علوم القرآن د. محمد بكر عابد ص١٠٢.

٢ فتح الباري (١٢/٩)

الأسباب التي جعلت القرآن مفرقاً غير مجموع في مكان واحد، وهذه الأسباب في مجملها تتركز في سببين رئيسين:–

السبب الأول: أن القرآن الكريم كان ينزل مفرقاً كما هو مقرر، ولذلك لم يكتمل نزوله مما يصعب ترتيبه في كل مرة، فقد تنزل الآيات من السورة ثم تنزل آيات أخرى من موضع آخر وهكذا حسب الوقائع والأحداث؛ ممَّا يشق على الصحابة جمعه في مصحف واحد، قال الإمام الزركشي رحمه الله: "وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يفضي إلى تغييره كل وقت فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم فكتب أبو بكر والصحابة بعده ثم نسخ عثمان المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار" ١

السبب الثاني: أن ورود النسخ على بعض ما أُنزل يتكرر، والنسخ ثابت بالنصوص القطعية كما هو معلوم، فلو جُمع ثم ورد نسخ في بعض آياته، لأدى إلى الاختلاف والمشقة في إعادة كتابته ومحو ما هو منسوخ، قال الخطابي رحمه الله فيما نقله عنه الإمام السيوطي رحمه الله: " إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر"٢.

١ البرهان في علوم القرآن (٢٦٢/١)

٢ الإتقان في علوم القرآن (٢٠٢/١)

الشبهة الثالثة

هي ما أثير حول ما رواه أنس ﷺ حيث قال: (جمع القرآن على عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم أربعة، كلّهم من الأنصار: أبيّ، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت، قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي)١

وفي رواية الإمام مسلم عن قتادة أيضا أنه قال: (سمعت أنساً يقول: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة، كلهم من الأنصار: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال قتادة: قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي)٢.

مدار هذه الشبهة عند من قال بها:

هو القدح في تواتر القرآن وأن هؤلاء الأربعة لا يصلون بعددهم إلى حد التواتر؛ ممَّا يترتب عليه إمكانية حصول النقص والزيادة في القرآن الكريم.

١ صحيح البخاري، باب مناقب زيد بن ثابت رضي الله عنه، رقم الحديث (٣٥٩٩): ٣/ ١٣٨٦.

٢ صحيح مسلم، باب فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم، رقم الحديث (٢٤٦٥): ٤/ ٩١٤.

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها في أربعة محاور:

أولًا: ما ذكره أنس رضي الله عنه ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه.

ثانيًا: ما ذكره رضي الله عنه قد يكون مراده الذين علمهم من الأنصار أربعة، أما غيرهم من المهاجرين والأنصار الذين لا يعلمهم فلم ينفهم، ولو نفاهم كان المراد نفي علمه فقط.

ثالثًا: أن الروايات المستفيضة الأخرى، ذكرت أن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم قد حفظوا القرآن، ومنها ما ذُكر في موقعة بئر معونة في حياته عليه الصلاة والسلام، وأيضاً ما جاء في موقعة اليمامة، وقد كانت بعد وفاته ﷺ بوقت يسير، وكان فيها سبعين من حفاظ الصحابة، وهذا ما جعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهم يجمعون القرآن، وأيضاً كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ممن حفظوا القرآن ولم يذكرهم أنس رضي الله عنه، وبذلك يتأكد لنا أن ما ذكره أنس رضي الله عنه لا يريد به الحصر ١.

رابعًا: ما ذكره أنس رضي الله عنه في هذا الأثر قد يكون له احتمالات أخرى تُفسِّره، وسأذكر بعضها:-

- **الاحتمال الأول:** أنه لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.
- **الاحتمال الثاني:** إن المراد بجمعه تلقيه من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة بخلاف غيرهم.
- **الاحتمال الثالث:** أن هؤلاء الأربعة هم من تصدى لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفي حال غيرهم.

---

١ انظر: شرح النووي لصحيح مسلم: ١٦/ ١٩.

- **الاحتمال الرابع:** المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب.
- **الاحتمال الخامس:** إنما خص أنس الأربعة من القراء بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم[1].

١ انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ٥٧، فتح الباري: ٩/ ٦٢.

الفصل الثاني

شبهات حول جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر ﷺ

إن الشبهات حول جمع القرآن الكريم في هذه المرحلة، تنوعت بين ما أثير من شبهات حول ما جاء في الصحيح حول هذا الجمع، وبين ما رماه المستشرقون من اتهامات لأبي بكر رضي الله عنه في أنه زاد أو أسقط شيئاً من القرآن، وبذلك سأبدأ بذكر الرواية من صحيح البخاري حول هذا الجمع وسأشير إلى ما أورده أهل الأهواء حول بعض ألفاظها:–

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده»، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟» قال عمر: هذا والله خير، «فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر»، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن»، قلت: «كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»، قال: هو والله خير، " فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي

بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه "١

الشبهة الأولى:

هي ما أثير حول قول زيد رضي الله عنه في الرواية السابقة، " فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره".

مدار هذه الشبهة عندهم، يقولون كيف يكون القرآن كله متواتراً مع أن زيد بن ثابت قال في أثناء ذكره لحديث الجمع في عهد أبي بكر: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، وهذا يدل على أنه اعتمد في جمع القرآن على بعض الروايات الأحادية، وهو يخالف ما هو مقرر عندكم من أن القرآن- في جملته وتفصيله- ثابت بالتواتر المفيد للقطع.

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها:-

أقول هذا لا ينافي تواتر القرآن؛ لأن المعتمد عليه في جمع القرآن كان على الحفظ والكتابة، وكان غرضهم من ذلك زيادة التوثق والتثبت، وأن ما كتبوه إنما هو ممَّا ما كُتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقول زيد: لم أجدها، أي لم أجدها مكتوبة، وهذا لا ينافي أنها كانت محفوظة عند جمع من الصحابة يثبت بهم التواتر، والتواتر إنما هو في الحفظ لا في الكتابة، ويدل على ذلك قول زيد رضي الله عنه في الرواية الثانية: "فقدت آية من الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها"٢، فهو كان حافظاً لها وموجودة عنده؛ إذ كيف يبحث عن شيء

١ صحيح البخاري، باب جمع القرآن، حديث رقم ٤٩٨٦، (١٨٣/٦)

٢ صحيح البخاري، باب جمع القرآن، حديث رقم ٤٩٨٨، (١٨٣/٦)

وهو لا يعرفه، وكذلك من كانوا معه كانوا يحفظونها ولكن كان يبحث عن أصلها المكتوب؛ لأن المستند عليه في القرآن هو التواتر الحفظي لا الكتابي والله أعلم.١

قال أبو شامة رحمه الله حول هذا: " لم تكن البينة على أصل القرآن، فقد كان معلوماً لهم ذكر، وإنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة فطلب البينة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله ﷺ وبإذنه على ما سمع من لفظه على ما سبق بيانه"٢

الشبهة الثانية:

هي زعمهم أن أبا بكر قد زاد في القرآن وأنقص منه، ومن ذلك آية (وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)٣، قالوا هذا من كلام أبي بكر قالها يوم السقيفة، ثم لما جمع القرآن ضم إليه هذا الكلام.٤

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها في ثلاثة محاور:-

أولاً:

أن هذه الدعوى من المتغرضين ليس عليها دليل يثبتها، فلو كانوا بذلك محقين لأتوا بدليل ثابت على أن أبا بكر قد زاد في كتاب الله أو أنقص منه شيئاً.

ثانياً:

أن ما ذكره الله في كتابه من حفظه لهذا الكتاب من الزيادة

---

١ انظر: مناهل العرفان (٢٨٥/١)، المدخل لدراسة القرآن لأبي شهبة ص٢٨٥.

٢ المرشد الوجيز لأبي شامة ص٥٩.

٣ سورة آل عمران آية: ١٤٤

٤ انظر: مناهل العرفان ٢٧٧/١.

والنقصان أصدق عندنا من دعوى واهية ليس عليها دليل، فقد قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)١ ، وقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ٢

ثالثاً:

ما ذكروه من زيادة لأبي بكر رضي الله عنه لآية (وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)، هي تهمة باطلة وسأثبت أقوال العلماء حولها، قال قتادة رحمه الله في وقت نزولها: "ذاكم يوم أحُد، حين أصابهم القَرْح والقتل"٣، فنزول هذه الآية كان يوم أحد، واستشهاد أبي بكر بها حين وفاة النبي عليه الصلاة والسلام لا يدل على أنها من عنده، وما صنعه عمر رضي الله عنه كان من هول الموقف، والصحابة رضوان الله عليهم قد حفظوها من النبي عليه الصلاة والسلام، ولما سمعوها تذكروا بأن موته عليه الصلاة والسلام حق وأنه مات، ولم ينكروا في حينها على أبي بكر رضي الله عنه.

قال الإمام الزرقاني رحمه الله: " والظاهر أن هؤلاء الطاعنين بزيادة هذه الآية وأنها من كلام أبي بكر يعتمدون فيما طعنوا على ما كان من عمر يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رد أبي بكر عليه بهذه الآية فزعموا أنها من كلام أبي بكر وما هي من كلام أبي بكر، إنما هي من كلام رب العزة أنزلها قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ببضع سنين والمسلمون جميعاً ومنهم أبو بكر وعمر يحفظونها ويعرفونها، غير

١ سورة فصلت آية: ٤١،٤٢.

٢ سورة الحجر آية: ٩

٣ تفسير الطبري ٢٥٣/٧

أن منهم من ذهب عنها كعمر لهول الحادث وشدة الصدمة وتصدع قلبه بموت رسول الرحمة وهادي الأمة صلى الله عليه وسلم.

وكان من آثار ذلك أن عمر رضي الله عنه غفل عن هذه الآية يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يومئذ وقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: مات، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات.

هنالك نهض أبو بكر ينقذ الموقف فقال: على رسلك يا عمر أنصت فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) إلى آخرها، قال الراوي: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ فأخذها الناس من أبي بكر، وقال عمر: ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات اهـ." [١]

١ مناهل العرفان (٢٧٨/١)

الشبهة الثالثة:

قولهم أن كثيراً من آيات القرآن لم يكن لها قيد سوى تحفظ الصحابة وكان بعضهم قد قتلوا في مغازي محمد عليه الصلاة والسلام وحروب خلفائه الأولين، وذهب معهم ما كانوا يتحفظونه من قبل أن يوعز أبو بكر إلى زيد بن ثابت بجمعه؛ فلذلك لم يستطع زيد أن يجمع سوى ما كان يتحفظه الأحياء١.

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها:-

هذا القول مردود على كل من قال به؛ وذلك بأن من بقي من حفاظ الصحابة رضوان الله عليهم كان أكثر ممن مات؛ بدليل قول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: "إني أخاف أن يستحر القتل بالقراء في المواطن"، فالدافع لجمع القرآن كما ذكر عمر رضي الله عنه هو الخشية من ضياع القرآن، وكان هذا احتياطاً منه أن يستحر القتل في القراء، وهذا يثبت بأن القراء لم يموتوا كلهم، بل ما حصل من قتل لبعضهم في حادثة اليمامة، ولذلك فإن زيد بن ثابت رضي الله عنه حين جمع القرآن لم يجد معاناة في العثور على ما هو محفوظ في صدور الصحابة رضوان الله عليهم، بل إنه كان يستوثق من ذلك بما هو مكتوب عندهم زيادة في التثبت، وعليه فإن هذه الشبهة واهية ولا دليل عليها والقرآن كامل لم يفلت منه حرفاً واحداً.٢

---

١ مناهل العرفان ٢٦٤/١

٢ انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٢٩٣

الفصل الثالث

شبهات حول جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه

إن الجمع العثماني للقرآن الكريم في هذا العهد، هو الجمع الذي اتفقت عليه أمة الاسلام إلى يومنا هذا، وهذه منقبة لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، حيث جمعه خشية حصول الفتنة بين المسلمين، ومن أثار أي شبهة حول هذا الجمع؛ إنما يريد حصول الفتنة بين المسلمين ولاشك، وسأذكر بعض الشبهات حول هذا الجمع العثماني والرد عليها في الآتي:-

الشبهة الأولى:-

ما قاله غلاة الشيعة وغيرهم من المستشرقين كهنري ماسيه[١]، بأن عثمان رضي الله عنه، حرَّف حين جمعه للقرآن في كثير من الآيات، ولأجل ذلك أمر بإحراق جميع المصاحف السابقة، فأنقص في القرآن وزاد وقدَّم وأخَّر، وخاصة فيما فيه منقبة لآل البيت.[٢]

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها في ثلاثة محاور:-

أولاً:

ما ذكره هؤلاء ليس عليه دليل ولا برهان، فشبهتهم عارية عن الصحة، ومبعثها الحقد والضغينة، فالشيعة أوردوا كثيراً من القصص والأخبار ضد من يكرهونه كأبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين، وهذه الشبهة من ضمنها، فالبعد العقدي المنحرف هو ما جعلهم

---

١ قال المستشرق هنري ماسيه بأن الجمع العثماني لا يشتمل على جميع الوحي بل فيه نقص وزيادة، انظر: الاسلام لـ هنري ماسيه ص١٠٨

٢ مناهل العرفان ٢٨٠/١، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية لـ أ.د محمد محمد أبو ليلة ص١٦٠

يرمون هذا الخليفة الراشد بمثل هذه الشبهة المفتراه التي ليس لديهم ما يثبتها، وبذلك فإن هذه الشبهة لا أصل لها وهي مردودة على من جاء بها.

ثانياً:

أن إجماع الصحابة رضوان الله عليهم انعقد على هذا الجمع، فلم ينكره أحد منهم، ولذلك فالتواتر قد حصل، وما فعله عثمان رضي الله عنه قد علمه آلاف الصحابة ومنهم آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، ولم تنقل لنا الأخبار أن أحداً من آل البيت قد اعترض على الجمع العثماني، بل اللجنة التي كلفها عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن، مكونة من زيد وغيره، يعرفون قدر آل البيت وما لهم من ميزة، ولن يتواطؤوا على النيل من آل البيت لمعرفتهم لمكانتهم، فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أغير على آل البيت من الشيعة المنحرفين المبتدعين، وكيف ينال الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه من آل البيت، وقد تزوج منهم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يستقيم عرفاً ولا عقلاً.

ثالثاً:-

أن هذه الشبهة فيها قدح ونيل من الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكل من تولى الخلافة بعده، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ولم يغيّر ما زعمه الشيعة بأنه نيل من آل البيت، فلا يليق بالخليفة الراشد علي بن أبي طالب أن يقرَّ هذا الذي صنعه عثمان رضي الله عنه، فبما أنه خليفة المؤمنين فلا يمنعه من تصحيح ما زاده أو أنقصه من كان قبله، فإمّا أن يتراجعوا عمّا قالوا أو يقرُّون بأن الخليفة الراشد ومن بعده رضوا بذلك وهذا محال، وهناك من الآثار عن علي رضي الله عنه في مدحه لصنيع عثمان رضي الله عنه، فكيف يقول الشيعة بهذا، ولاسيما أن فيه مخالفة

لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من آل البيت وهو من يعتقد فيه بعض غلاة الشيعة أنه إله من دون الله تعالى الله عن ذلك.

الشبهة الثانية:-

قول المستشرق ويلش، إن مصحف عثمان لم يكن بالنص الذي يخلو من الاختلاف والتنوع، حتى من حيث تناسق اللحن والشكل.١

وكأنه يقصد بذلك عدة أمور:-

اقتصار الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على حرف واحد من الأحرف السبعة، مما يظنه هذا المستشرق من أنه رد لباقي الأحرف التي يعتقد بأنها من تحريف القرآن والتصرف فيه بما يفقده تواتره وصحة كل ما فيه.

ما وافق به المستشرق برتون٢ فيما ورد عن عثمان رضي الله عنه حينما عرض عليه المصحف فقال: "أحسنتم وأجملتم، إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها"٣، فيريدون بذلك إثبات وجود الخطأ في الجمع العثماني مستندين لهذا النص.

تفنيد هذه الشبهة والرد عليها في محورين:-

أولاً:-

ما قيل بالاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة، فهذا ليس فيه إنقاص لشيء من القرآن ولا ترك لبعضه وكتابة بعضه، وهذا يتبيَّن بأمرين:-

معرفة القول الراجح في المراد بالأحرف السبعة فأقول: ذكر العلماء

---

١ القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية لـ أ.د محمد محمد أبو ليلة ص١٦٤

٢ المرجع السابق.

٣ أورده أبو داوود في كتابه المصاحف ص١٢٠

فيها خلافاً طويلاً أورده كثير منهم، فأوصله بعضهم إلى ما يقرب من أربعين قولاً[1]، إلا أن الراجح فيها والله أعلم أنها الأوجه من اللغات، أي سبعة أوجه من المعاني المتقاربة في المعنى الواحد بألفاظ مختلفة[2]، فبذلك ما اقتصر عليه عثمان رضي الله عنه في جمعه هو وجه من الأوجه التي نزل بها القرآن، فالأحرف إنما هي ألفاظ متعددة لمعنى واحد، وما فعله عثمان لم يغير معنى أو يرد شيء من القرآن، فالأحرف السبعة لا يمكن أن تجتمع في موضع واحد، إذ كيف يذكر المعنى بألفاظ متعددة في موضع واحد، فالذي كان بين يدي الناس من المصاحف هو اقتصار كل منهم على حرف واحد، وما فعله عثمان رضي الله عنه أن اختار من هذه الأحرف ما جاء على لغة قريش لأنها الأفصح ثم جمع الناس عليها، وبهذا تكون شبهة من اتهم عثمان بأنه رد شيئاً من القرآن داحضة مردودة والله أعلم.

أن الرواية الصحيحة التي أثبتت أن القرآن نزل على سبعة أحرف لم تذكر إلزام الناس أن يقرؤوا بجميع هذه الأحرف، فمن قرأ بحرف دون حرف فلا شيء عليه، ولبيان ذلك سأورد هذه الرواية حتى يتبيَّن الأمر، فعن ابن شهاب، قال: حدثني عروة بن الزبير، أن المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري، حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي

١ انظر: الإتقان للسيوطي ١٦٤/١

٢ انظر: جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته) – رسالة دكتوراه– ص٢٠٤

سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»١، وبهذا نلاحظ بأن قوله عليه الصلاة والسلام فاقرءوا ما تيسر منه يدل على جواز القراءة بأي هذه الأحرف السبعة بشرط صحتها كما ذكر ذلك الإمام ابن حجر رحمه الله٢، وبذلك فلا يسوغ اتهام عثمان بأنه ترك شيئاً من القرآن أو أنقص منه أو زاد.

ثانيًا: ما ورد عن عثمان رضي الله عنه ممَّا استند إليه المستشرقون بأنه أثبت بذلك وجود الخطأ في الجمع العثماني، فإني سأرد على هذه الشبهة بعدة أمور وهي:-

أن في هذه الرواية خلل من جهة السند وهو انقطاع السند، فهي ضعيفة ولم تثبت عن عثمان رضي الله عنه قال د. محب الدين في تحقيقه لكتاب المصاحف: "إسناده منقطع"٣، وبهذا فإن الاحتجاج بهذا النص مردود.

والخلل من جهة المتن أن فيها تناقض، فكيف يقول عثمان رضي

---

١ صحيح البخاري، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم ٤٩٩٢، ١٨٤/٦

٢ انظر: فتح الباري ٣٨/٩

٣ كتاب المصاحف لأبي داود – ط دار البشائر – ٢٢٩/١.

الله عنه في أولها: أحسنتم وأجملتم ثم يعقب ويقول: إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها، وهذا لا يليق بهذا الخليفة الراشد رضي الله عنه، إذ كيف يمدح ثم يقرُّ بالخطأ في الشيء الذي امتدحه.

أن الجمع العثماني كان بإشراف مباشر من الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، فلو كان هناك لحن في شيء منه لاستدركه عليهم، ولم يترك ذلك حتى الانتهاء من العمل.

أن اللجنة المكلفة بالجمع يترأسها زيد بن ثابت وهو محل ثقة عند الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان، وهو من جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ولم يكن هناك خطأ، وجمعه العثماني أجمع عليه الصحابة كلهم، فكيف يُفسَّر هذا للحن الذي ادعاه المستشرقين.

وممَّا سبق يتأكد بأن ما ذكره المستشرق ويلش وبرتون لا صحة له وقد فنَّدت شبهتهم ورددت عليها بما استطعت. والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على نبي الأنام، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان، أما بعد،،،

إن مثل هذه القضية الكبرى، وهي الدفاع عن القرآن الكريم فيما يخص جمعه، لا يمكن استيفاء كل ما فيها في مثل هذا البحث المصغَّر، فما كتبته هو بعض الشبهات الرئيسية حول جمع القرآن، وبهذا فإني أخلص إلى نتائج وتوصيات مهمة قد تفتح آفاقاً لمن أراد التوسع في هذا الموضوع وهي:-

أبرز النتائج:

إن الشبهات التي يرميها أهل الضلال حول جمع القرآن الكريم في غالبها عارية عن الصحة ومبنية على أباطيل لا دليل عليها.

إن جمع القرآن الكريم في عصوره الثلاثة تثبته أدلة صحيحة بيَّنت دواعي وأسباب وصفة كل جمع، وما أورده أهل الباطل منشأه الكراهية والتعصب للبدعة، والرغبة في بث الشكوك والارتياب في المسلمين.

أهم قضية يريد أهل الباطل أن يثبتوها ضد هذا الكتاب العظيم هي عدم قطعية تواتره، وأن الخلل والنقص قد ورد إليه، ومقصدهم في ذلك ترسيخ هذه الشبهة حتى يبطلوا كل ما ينبني عليها.

لا يقتصر إيراد الشبهات على المستشرقين فقط، فقد ساندهم في ذلك أهل البدع والأهواء، فأعداء الدين بكل أطيافهم يريدون النيل من هذا الكتاب العظيم.

إن هذه الشبهات التي أوردها أهل الضلال قد انبرى لها علماء أفذاذ فنَّدوها وبيَّنوا عوارها ولله الحمد، فكل شبهة أوردوها تم الرد عليها، ومن قال بهذه الشبهة مجدداً إنما يقلّد من سبقه من أهل الباطل فلا جديد لديهم.

أبرز التوصيات:

إن الجهد الفردي في الرد على هذه الشبهات منثور في كتب أهل العلم؛ إلا أن الجهود حينما تتظافر وتكتمل يكون نفعها أكثر، ولو تبنى أهل التخصص موسوعة الرد على الشبهات حول القرآن الكريم فحسن.

ترسيخ ما يعتقده أهل الاسلام من مسائل حول القرآن الكريم من ناحية تواتره أو إعجازه أو كونه من عند الله محفوظ بحفظ الله، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات في رحاب الجامعات والمراكز الاسلامية المتعددة.

نشر ثقافة المناظرات ضد كل من يعتدي على شيء من كتاب الله، وذلك من خلال المقررات الدراسية وخاصة لطلبة الدراسات العليا، بحيث يكون لديهم أدوات المناظر الجيد؛ حتى لا تنطلي عليه الأمور وتلتبس عليه مثل هذه الشبهات.

إقامة مناظرات علنية بين متخصص في الدراسات القرآنية وبين من تبنى مثل هذه الشبهات، ونشرها في الوسائل الاعلامية المتعددة، حتى يعرف الناس بأن كل شبهة عليها من المآخذ ما يبطلها ويردها.

إعادة النظر في مصطلح ما يسمى الدفاع عن القرآن الكريم، فهذا المسمى قد يشعر البعض بأن القرآن الكريم في موطن ضعف وهو في حاجة لمن يدافع عنه وهذا غير صحيح، ولذلك لو أُستبدل هذا المصطلح بمصطلح آخر كالانتصار للقرآن الكريم أو غيره.

والحمد لله رب العالمين

فهرس الصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣. الإسلام، المؤلف: هنري ماسيه، ترجمها: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.

٤. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٥. التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٦. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، المحقق : هشام سمير البخاري، الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٩. جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)، (أصل الكتاب رسالة علمية، بكلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد، أشرف عليها الدكتور عمر محمود حسين السامرائي)، المؤلف: أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م.

١٠. دراسات في علوم القرآن، المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١٢. القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، المؤلف: أ.د محمد محمد أبوليلة، الناشر: دار النشر للجامعات، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٣. كتاب المصاحف، المؤلف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٤. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
١٥. مختار الصحاح، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ - ١٩٩٥، تحقيق : محمود خاطر.
١٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
١٧. المدخل لدراسة القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبه السنة - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
١٨. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، المؤلف : أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : ٦٦٥هـ)، المحقق : طيار آلتي

قولاج، الناشر : دار صادر – بيروت، سنة النشر : ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

١٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٢١. مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

٢٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م.

٢٣. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف : محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.